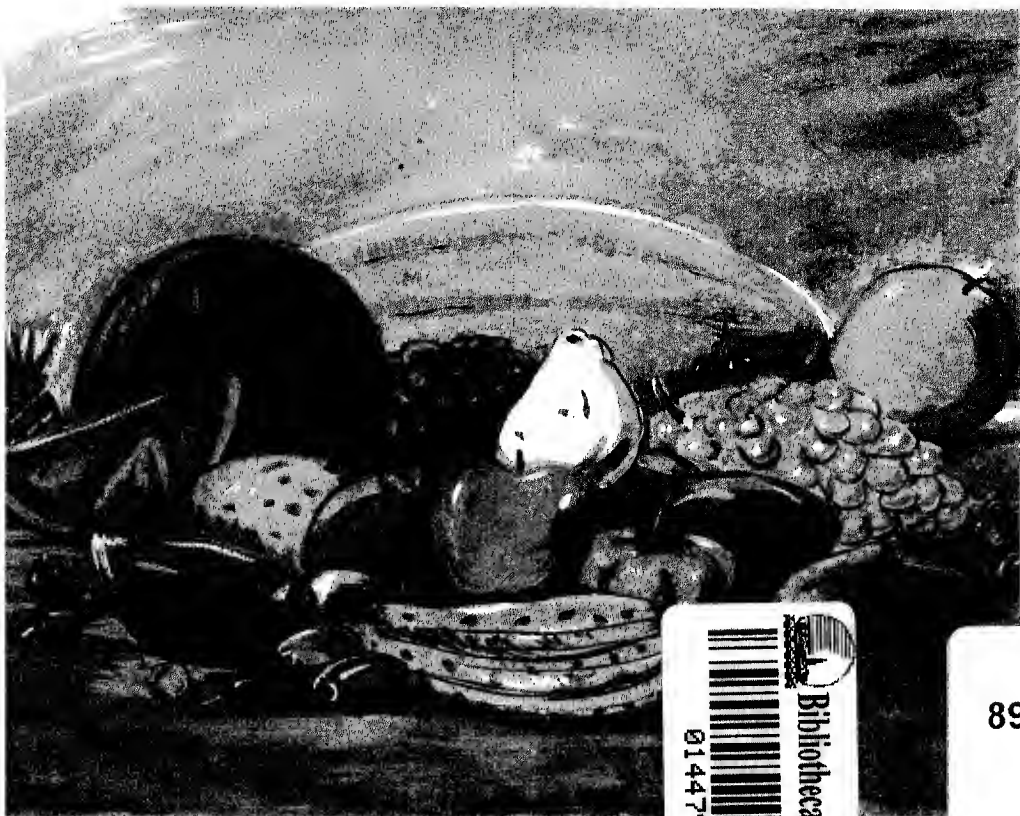


اللطف والمِنَّة في مغلفات فواكه الجنة

شمس الدين محمد بن المحب

المفاخرات

٢



تحقيق
مُحمَّد الششتاوي



اللفاف العربية

اللطّف والمِنَّة
في مغنّات فواكه الجنّة

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٩٤ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولي : 977-5727-37-5

للطّف لمنّة في مفاخرنا: فواكه الجنة

شمس الدين محمد بن المحبّ



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina



استكمالاً لسلسلة المفاخرات والمناظرات التى تتضمن موضوعات متشابهة، نقدم اليوم هذه المفاخرات الثلاثة الخاصة بالفواكه تضمنها مخطوط السيوطى كوكب الروضة (تحت الطبع).

والمفاخرة الأولى بين الشمس والتوت نسبها السيوطى للذهبي.

والثانية بين الرطب والأعناب، لم يذكر السيوطى مؤلفها.

والثالثة بين التين والعنب، لشمس الدين محمد بن الحب.

وهى تتسم بالطرافة كما انها تحوى معلومات طبية قيمة عن تلك الفواكة.

المظاهرة الأولى بين المشمش والتوت

مفاخرة بين المشمش والتوت

للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي

الحمد لله الذى جعل العام فصولا أربعة، وجعل لكل فصل منها ثمارا
متنوعة، والصلاة والسلام على نبيه وصفيه الذى اهتدى من اقتدى به
وتبعه واتبعه . وبعد . .

فلما قدم الربيع فى طلائعه وجنوده، وسحب وشى مطارفه وبروده،
وزهرت الدنيا بأزهاره، وانتشر نشرها بانتشاره، وزينت الخلائق بالصور
والقدود، ونورت الوجوه بالحدق والحدود، وأصبح فى كل وردة ند
وعود، فالورق بين الأوراق تتغنى، والغصون ترقص لتصفيق الأنهار
وتتثنى، فأراح عند ذلك الأرواح، وتنافست النفوس فى المسرات
والأفراح، وتأهبت ثماره للقدوم وأزهاره للرواح، وسار فى الساقه الورد،
وهرب ما تبقى من البرد، وأقبل المقدم التوت الرئيسى الصادق فى
حلاوته، فجلا صدا القلوب من طول غيبته، وملا الصدور من رونق
هيته .

شفى النفوس من الأدواء والوصب

توت بدا طعمه أحلى من الضرب

أفديه توتا له الفضل المبين على

ما فى البساتين من تمر ومن عنب

فبينما هو يجول فى ميدان تيهة ومرحه، ويصول فى قلوعه من شدة
فرحه، إذ هجم عليه الصدر المشمش المعشوق، والملك السعيد المرفوق،
بين أعلامه الصفر، وبنود أغصانه الخضر

كأنه حين يبدو فى الغصون ضحى .: بنادق الرمى قد صيغت من الذهب
وبالنجوم إذا انقضت تشبهه .: إذا بدا ساقطا من شدة اللمع

فصاح عليه التوت صيحة أرعب بها جنوده، ونثر بها نظام أمره
وعقوده، فعدم التوت الإضطبار، وعزم على الفرار، ثم تشجع ووقف
للنضال، وقعد للمخاصمة والجدال، وقوى فكاهة وقال: أيها المليح الطيب
المخبر، المنسوب فى الشبه إلى بنى الأصفر، اللابس الدرع المعصفر، لم
تهجمت على مقامى والرتب، وأنا قد سبقت إلى الشفا من الوصب،
وارزيت وأزبدت بالرطب، وملأت الشوارع، وجلست على القوارع،
واستوى فى الوصول إلى الغنى والفقر القانع، والفضل للسابق لا للاحق.

فالتفت إليه المشمش التفات المتدلل المتكبر، وصاح عليه صيحة
المتجبر، وقال: أيها العليل الوجع، والثقيل الدلع، هل أنت إلا من بعض
أجنادى، أما علمت أن الدولة لى والبلاد بلادى، والناس تعد لى الأيام،
وتنتظرنى انتظار وابل الغمام، وتعد الناس لقدومى أيام البطالة، وكل
يهنى لتلقى أنواعى آله، ومن جملة شروط الواقف فى المدارس استئنا أيام
ورودى، وأنجاز وعودى، لى تضمن البساتين، وتغنى القدود وتصفق
الهواوين، ولا يذكرون إلا أيام المشمش لا زمان التوت، فمت كمدا إن

أردت أن تموت، وإلا فالزم الخرس والسكوت، وكنت قد تقدمت فما أنت إلا خادم وصاحب، ومتى علت عين على حاجب.

فقال له الثوت : طمعت فى جانبى حين بعد القرين، وعز المساعد والمعين، ولو كان فيك تقوى، لما كان قلبك على جارك يقوى، وإن كان غرضك المقام، فأنا أودع وأرحل بسلام.

فقال له المشمش : سافر من هذه الديار، فما لك معى فيها قرار، وإن رضيت برميك على المزابل للكلاب، وإلا فتلقح فى الشمس وقاسى الإلتهاب، ودق راسك بالمرازب، وستعلم أينا الصادق من الكاذب، أما تتأدب مع من لونه لون الذهب، وطعمه يروى بالسكر والعنب، وخده أصقل من خد الخود الحسان، وقلبه أبيض من لؤلؤ نيسان، وقيمته من أجل الأثمان.

فقال له الثوت : إذا كان لابد من المقابحة، والمكالمة (١) والمواقحة فاخرج من نشورك للمناظرة، ودع عنك المكابرة، أنا الخفيف الثمن، واللطيف فى البدن، والرطب للسمن يميد لى الغصن الأملود، وكأئننى اللؤلؤ فى العود، ولى السدس ألوية وبنود، وأنت قد علاك الصفار بعد الاخضرار، وراح قلبك من العشى حجرا من الأحجار، تثقل على المعدة، وتفسد الطعام فى أقل مدة، وتحتاج إلى التصريف، وإلا بودرت بالقئ فى الكنيف، تستحيل إلى الصفراء، وتصير من جملة الأدوية، وبئست الخلتان الاستحالة والحمضة، وياما أحدث أكلك من مرضه، وأنا انصرافى عن المعدة بسرعة، أما ترى مائى أصفى من دمة، ولا اضع الأكل من الشبة والرجعة.

(١) والمكالمة فى أ، جـ.

فعظم على المشمش هذا الكلام، وأخذته القلق والابتلام، وقال :
ويلك، تخاطبني بهذه المقالة، وأنت شديد الإستحالة، ولا تبقى على
حالة، وللسقم أقوى آلة، أما تعلم أنك مرعى الذباب ولا يسمن عليك إلا
الكلاب، أنت من أنواع الكلابى، وأنا من أنواعى المحسنى، ومتى
ساوى المحسن من ذوى الألباب، للكلاب أبناء الكلاب، ليست حلاوتك
عند قدومك صادقة، ولا رؤيتك بهيجة ورائقة، ولا الشبعة منك لائقة،
ترخى المعد، وتحرك البرد والرعد، ومع كونك رخيص العرض، أكلك داء
ومرض، وأنا ذو السيرة الفاخرة، والرؤية الباهرة، ولى تنفق الأموال،
وتتفاخر بكثرة أكلى الرجال، يعدوننى عد الدنانير والدرهم، وأنزل على
القلوب كالمراهم، لى الإجناس والأنواع، والخدم والأتباع، أنا من أغلى
الفواكه ثمننا، وأنت من اشتراك قنطارا بدرهم قد غبن غبنا، أنت فى
الثمن كالجزر، وأنا كالدرة النفيسة بين الدرر، ولا شك أن الغالى أعز،
والرخيص يلقى ويز.

أنا كريم الطباع بأدنى تحريك أسمح بثمرتى للجانى، وإن كان جانى،
وهذا طبع الكرام، وأنت ردى الطباع ولا تجنى إلا بالعصى والمرابز
والضرب والدق، لا ينال منك ثمرا إلا بالعنف وهذا من طبع اللثام، ولا
ينكر هذا أحد من الأنام.

فقال له التوت : تعاضمت فوق الحاجة، وتجاوزت الحد فى
اللجاجة، أما قولك لى تسمن الكلاب، فأنت المنسوب إلى بنى الأصفر
الملعونين بنى الكلاب، وإن كانت حلاوتى فى ابتدائى غير صادقة،
فحموضتك أول امرك محققة غير لائقة، وإن كنت رخيص الثمن، فهذا
شئ حسن، فينتفع بى الغرباء وأهل الوطن، وأنت خلا من كل من،

ولولا انتسابك إلى اللوز ما مشى (١) لك حال، ولا خطرت في بال ،
ولكنك من الوبال، ولصرت في أنحس الأحوال، وما تشبه حلاوتك
بالرطب، ولا ذاتك بجيد العنب، وأنت كثير العطب، وإذا سلمت في
النادر من الزمان فعجب، متى هبت عليك شرقية، قلت لم هذه البلية،
أعوذ بالله من الساعات الردية، رحت والله من الصعقة في أنحس قضية،
فتضحى منك أشجارك داوية، وأغصانك على عروشها خاوية، وولت
عنك السعادة، واكتسى غصنك ثوب حدادة، وصبرك الله عبرة لعباده،
وتمثل من لم يحظ منك بمراده .

ذهبت بشاشة حسن وجه المشمش

وغدا يطالعنا بوجه أغش

واسود منه الوجه حتى انه

كالفحم أو بالنقش يوما قد حش

ضعفت قواه فكلما هبت صبا

تجيب الزروع بطيب رباها عشى

وأنا لا تؤثر في لواقح الرياح، ولا نوافح نسيمات الصباح، لثبات
أصلي وفرعي، وصلابة جسمي وشدة منعي، ألقى العواصف بصدر
رحيب، ولا أخاف من جليد، ولا أخشى من الحر اللهب، ولولا أوراقى
ما وجد الحرير، ولولا ساقى ما ثبت دار الأمير، وفي يقول الصديق
الرفيق، والحبيب اللبيب :

(١) بقى فى أ، هـ.

أما ترى التوت قد وافاك مبكرا
مدرعا فى الصوانى أفخر الحلل
كالثليج فى قوة الحر الشديد له
طعم تشبه بالجلاب والعسل
بشفى القلوب ويرويهها على ظمأ
ويفتدى برده بالغل والنهل
هو الإمام الذى لولا تقدمه

ما فرق الناس بين الجدى والحمل

فقال له المشمش : لقد تناولت علىّ وارتفعت ، وتبالطت وما
خضعت ، وهذا الجدال يطول ، وكلما قلت أقول ، فارتفع معى إلى بعض
الحكام ، وأرحنا من الجدال والخصام ، فما ينصف المظلوم إلا عادل ذو
إبرام .

فبادره التوت إلى ما سأل ، وقال له الفجل العجل ، فسأل عمن له
خبرة بالأنساب ، وله بيان وإسهاب ، وحكمة وفصل خطاب ، فُدلاً على
حكم من ذوى الألباب ، الذين جربوا الأمور الصعاب ، ورأوا من الدهر
العجاب ، قد سبر سبر الجمهور ، وخبر الأحياء وأهل القبور ، وجال فى
البلاد وجاب ، وعاشر من شب وشاب ، له علم ودراية ، وسند ورواية ،
وبلغ فى التفنن فى المأكّل الغاية ، فذهبا إليه ، وتحاكما بين يديه ، وسألاه
الحكم بعلمه ، والقضاء بينهما بقوة فهمه ، بعد أن قصا عليه القضية ،
وأطلعا على مناظرتهما الظاهرة والخفية ، فحمد الله خالق الثمار ، ورازق

الطيار، ومزين البساتين بالأشجار، والأنهار، وصلى على نبيه محمد المختار، وقال:

أما بعد، فإذا رضيتما بحكمي، فلا بد من تحقيق علمي، فليحضر كل منكما أطيب أنواعه، لأشاهد لطيف حسنه وأبداعه، ولأبشر أكله، وأتحقق فضله، وأبالغ في استعمال كل منكما في الاقتضاض، ويقضى الله بعد ذلك ما هو قاض.

فتأنق كل منهما في الإحضار أطيب نوعه وجنسه، ماهزل صاحبه وقطف لامسه، وكانت قد أتت على الحاكم مدة مديدة، وأيام عديدة، لم يستطع فيها بمطعوم ولا بمشروب، فصادف حضورهما إليه حاجة في نفس يعقوب، فالتقم رابق الخراساني عسقا، وسف رطب السلطاني سقا، وتناول المحسنى كفاكفا، إلى أن وقف على قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾.

فلما حصل على المحضر، قام يتبختر^(١)، ومشى يتخطر، ومال من الامتلاء يتحصر، وقال: قد استند باب الكلام، واشتبه على الحكم في هذا المقام، فاتركا الجدل والخصام، وانصرفا عنى بسلام، وإذا ارتشى الحاكم من الخصمين، فما يذهب كل منهما إلى قرير العين، ولو كنت اقتصرت على التناول من أحكما لرجحته غاية الترجيح، فما منكم من أحد إلا وهو مليح الوجه صبيح، وبعد أن حصلت لى العائدة، ورفع المائدة، فما بقى لى فائدة، ومن يصير على العدم والذهاب، ويصب جيفة ملقاة في التراب، ويمشى طريحا على المزابل كتالف الخضروان

(١) يتحضر فى هـ.

ومدته فى البقاء يسيرة، وأيامه معدودة قصيرة، فبم يفتخر على جاره،
ويسىء عشرته فى بستانه وداره، والمصلحة عندى الصلح والصلاح، وأن
يكون خروجكما على أحسن رواح.

فكأنما أفاقا من السكره، وزالت بينهما النقرة، واصطلحا صلحا بقيا به
متوافقين، متعانقين فى الأوانى، متلازمين فى الصوانى، وزال الشقاق،
وربحا الوفاق، فشكرا على هذا الصنيع، وتأسف على فراقهما من الناس
الجميع. انتهت والحمد لله وحده.

المفاخرة الثانية بين الرطب والأعناب

مفاخرة بين الرطب والأعناب

حدثنا أبو القاسم التواب، أن أبا عبد الله البواب، لما قيل عنه ما قيل، نودى في الحال أن لا مكيل، فتوجه إلى جلق وما نوى^(١)، وكان كبرق تالق ثم انطوى، ولما دخلها قصدت إليه، وخيلته وما اشتملت عليه، فقال: يا أعز الأحاب، هذه مفاخرة الرطب والأعناب.

هذه مفاخرة الرطب والأعناب أحضرها بعض أصحابي، يشغلني عن مصابي، ثم ناولنيها فوجدت فيها تناظر النخل الباسقات، والكروم المتعلقة في أيهما أشي^(٢) وأنفع للأنام، وأشبه بآدم عليه السلام.

فقال النخل: نحن بنات الأعمام، ذوات الأكمام، وفيها خاصة الإيناس، وقرب الشبه^(٣) بالناس، ولحملنا النضارة والطلاوة، واللطافة والحلاوة، نؤتى أكلنا كل حين بإذن ربنا، والسنن النبوية شاهدة بقرينا، وطلعنا نفيد رزقا للعباد، رطب وثمر وعجوة وأزواد، وإنا لمفضلون في الكتاب، بتقديم ذكرنا على الأعناب.

(٢) اشتهر في أ، جـ.

(١) لوى في ب، د.

(٣) النسبة في أ، و.

فقال الكرم: بل نحن إلى الإنسان أقرب، وبه أشبه ، وثمرنا أطيب، وميلهم إلينا أكثر، وأغنياؤهم بنا أشهر، وإن شاكل النخل من الأناس ^(١) الأشباح، فإننا نشاكل منهم الأرواح، ولنا القطوف الدانيات، والطعوم اللذيذة النكهات، والألوان الرائقة، والخواص الفائقة ، ثمرنا يخصب الأبدان، ويدر الألبان، ويصلح الكبد، وينفع المعد، ويغذو ويسر، وينقظ ولا يضر، ويحلل ويلين، ويرطب ويسخن، وإنه لمفضل على ثمر النخل، بنص الكتاب فى سورة النحل، فما للنخل من تعظيم علينا، ولا تطاول بفضل إلينا، ولو لم يكن الرأس وهو الذنب ، لما ورد أيكفر بخالق العنب .

قال النخل: ليس الأمر كما قلت، ولا المدح كما غفلت، أليس منك من يحط الإنسانية من رتبة الملائكة إلى رتبة الحيوانات، وهو جماع الإثم والكبائر، ورأس الشر وباب الحقائق .

فقال الكرم: قد قلت يا نخل شططاً، وغلطت خطأ، وأخطأت غلطاً، فمن أين لك هذا التخصيص، يا من ثمرته الحشف والشيف، رأسك مأوى الحيات، وجسمك نتين الجنات، وأنت صعب المراس، والشامخ على الناس بالراس، خوصك أخشن من ورق القصب، وثمرك يجنى بالنصب ^(٢)، ومن خيلائك المنسوب إليك، لا تثبت قدم الراقى عليك، يا دقل، أنا العقل، ليس الفخار بالجذوع العظام، ولا بثمر نواه كالعظام، بل أنت بما هو نفع كله، أصله وفرعه، وغصنه وزهره وحمله، ولقد أخطأت أيها النخل، الذى تصحيف اسمه البخل، وتعذيت يا غير محترم، على اسم الكرمة المشتق من الكرم .

(٢) النصيب : التعب ..

(١) الأناس فى ب .

فقال النخل : قد تناولت يامن لا يفلح بغير غرسه، ولا يطرح قائما بنفسه، تزاحم شجراتك الحشائش، وتأكل ثمارك النوامش، يامن سوقه عيدان، وغصونه ديدان، لضعف فيك انفرشت، وعلى الأعواد عرشت، مثل ضرب المثال، وقيل فيما قال .

حصل خصالا تكن (١) مجدا تعيش به .: بين الأنام ولا تركزن إلى بشر وتكونن مثل الكرام رام علا .: بغيره فغدا كلا على الشجر

ثم كلع وجه النخل من الغيظ، وكاد يهتز من الغيظ، وقال : يامن كبره وضعه، وبغيه صرعه، لولا عناية الأجواد، لم تعل على الأعواد فاستتر بالأوراق، وخفض من التراق، ولا تفاخر بقلة الماء، من أصلها ثابت وفرعها فى السماء، وانها تعمر بيتا وتمونه، وتكن ساكنه، وتكسوه ويعلف دوابه، ويوتى كل حين صبغة وشرابه، فجذعها جسور البيت وأخشابه، وليفها والجريد سقفه وأبوابه، والسعف والكرب جدرانها وسطحه، والخص والقلب شرحة وبسطه، والطلع والثمر قوت الساكن، والجذع ماعون تغاير ومراكن، واللب الأبيض مراوح وقباب، ونوى التمر علوفة الدواب، ودقائق العرجون خيوط وحبال، وغليظ الخص قفاف وسلال، والليف الأبيض عمائم وثياب، والدبس (٢) والسيلان صبغ وشراب، وسطح الجمار كن كنين، وعند المخافة حصن حصين، والتمر حلو يحب بنفسه، وقوت وحده، نخله وغرسه، وفاكهة وغدا، ومتجر وردا، فهل للكرم الحقير الذميم، مثل هذا النفع العظيم، ثم فى طلعي وجمارى ومائى، وبسرى وسائر أجزائى، من النفع والخواص، ما

(٢) الدبس هو العسل المستخرج من الرطب .

(١) اتخذ فى أ، هـ .

يعلمه العام والخاص، فدونك الظل ليسلم قشك، وادرج ياكرم فماذا عشك .

قال : فتعلق الكرم بالنخل وطلبا التنافر إلى ابن أبي طالب، إذ هو الحاكم فى هذه المطالب، وجعلا الإقتصاد من الكلام، على أيهما أشبه بالأنام، فمن كان أشبه وأنفع للبشر، كان المفضل على جنس الشجر، ثم تأدبا للتقاضى، وتمثلا لدى القاضى :

فقال النخل : إنا خصمان بغى بعضنا على بعض، وقد طال مطال الإبرام والنقض، وما تقاضينا، حتى تراضينا ، بأن الأشبه منا بالإنسان، هو الأفضل من ذوات الأغصان، فاستمع مقالى ومقاله، وها أنا أسأل سؤاله .

قال : فليذكر النخل ما عنده، ثم يجيب الكرم بعده .

قال النخل : أيها الإمام، أنا أشبه من الكرم بالأنام، لأن رأسى كرؤوس الناس، وأحب اللقاح والأنس والمراس، وريح طلعى كريح المنى منهم، وأغدوهم ويغدونى بالخارج عنهم، وأحب وأبغض وأحبب باللقاح، وأمراض بالبرد والحر والرياح، وينشق القشر عن طلعى المنضود، كانشق المشيمة عن المولود، وهذا أيها القاضى ما إالىّ، فاحكم بالفضل لى أو علىّ .

قال : حتى اسمع كلام الدالية، وإن كانت كلمة النخل هى العالية .

قال الكرمة بعد الاستفتاح : أيها القاضى، أنا شبيهة الأرواح، لطغى وسرى يشاكل الإنسانية، وبيتى وتعريشى يشابه البنية، فساقى القائم وفروعى العراض، كانشاق المشيمة عن المولود، وأغصانى



اللطاف والخفية، كالعروق البياض والليطية، وتملى الأغصان بالماء، كتملى العروق بالدماء، والحكم قديم لمولانا، فاحكم بالقصد لأولانا.

قال : إن النخلة قريبة إلينا، والكرمة حبيبة لدينا، أوراق هذه حسان نضرات، وسعاف هذه دائم خضرات، والزبيب والعنب، كالقصب والرطب، ثمرات مكرومة، ومياه محرقه، وكل يقطف ويكال ويوزن ، ويؤكل ويعصر ماؤه ويخزن، والغدا الصالح الدهن والتمر، والشراب المحرم السكر والخمر، ثم رفع الحاكم راسه، وأنشد جلالة:

بين الدوالى ونخلنا نسب .: كلاهما بالهواء يضطرب
فهما سواء والفرق بينهما .: انهما شاسع ومقترب
طلعهما دائم وأكلهما .: لنا وهذا عليهما يجب

قال : فخر النخل راكماء، وذل الكرم خاشعا، وقال: يا حاكم الحكام.

فقال : الصلح سيد الأحكام، والحاكم لا ينصر العنب على التمر، ولا يفصل بينهما بأمر، وإن أراد النخل النصرة، فليأت برطب البصرة، وإن اختار العنب اللطائف، فليحضر عنب الطائف .

قال : فذهب النخل يهرول، وولى الكرم يولول، حتى غابا عن العين، وصارا خبرا بعد عين.

المفاخرة الثالثة بين التين والعنب

مضاحرة التين والعنب

للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن المحب

الحمد لله الذى منح عباده من فضله الأتيان والأعنان، وذكرهما فى كتابه العزيز تبصرة وذكرى لأولى الألباب، وتمنن بالعنب وترجمه وفخمه وكرر ذكره، وأقسم بالتين لنبيه على كثرة فضائله ومنافعه وبعظم قدره، وجعلهما من ملوك الفاكهة وفضلهما والنخيل على سائر الثمار، وأسكنهما الجنان فطابت بهما وزانت وحصل للنفوس بهما الاستبشار، ونوع لهما من جنس كل منهما أنواعا، ليكون له فى المملكة من جنسه أشياعا وأتباعا، كالوزراء والنواب والحجبة والخدام والعساكر، فتتفرق فى الناس للتألف بهما ويجتمع لديه فى الدساكر، فإذا حل حلوا مبتهجين فى حلل مدهشة الألوان للحلوله، وإذا قفل قفلت الخاصة معه ما بقيت استحالة حاله لقفوله، فيفقد ناظر الناظر فى رياضها نضارتها من غصنها الناضر الوريق، ويجدها كف كأنها فى كرة كنة مكنونة مزيلة تعد حسننها الأنيق، ولكنها فى ليالى الشتاء ومجتمع الأحباب، لنا منادمة لطيفة وخبر عجاب، فإذا عاد الملك من قابل عادت الخاصة ببهجتها لحضرته والتفت الأعوان، واصطففت الجيوش لمن يهوش أو يميمش وقام البطل وقعد الجبان، فسبحان من جعل العام فصولا أربعة، وجعل لكل منها ثمارا متنوعة .

فلما عزم الربيع على الرحيل مولياً بمشمشه وتوته بعد وروده، أولاً
برياضه الخضر وبروده المميّزة بين أزهار، ووروده، أقبل الصيف ميمماً
بجيوشه وعساكره، وجمع ما كان متفرقاً عنه فى دساكره، فأول ما قدم
قدّم من مطالعه شاليشا المفدى عنبا سابقاً، فدهمه ووقره فى ميدان سبقه
التين الحبيب سائقاً، فعاتبه العنب عند ذلك وقال :

أيها الحاطم جهلاً إن كنت جليداً فتلبث للنزال، وأنشد قائلاً بارتجال
فى المعنى والحال :

أيها الجلف الطويل .: فإنك الجافى الثقيل
قد زدت طولاً غير طولك .: ما أنت إلا عنشليل

فقال له التين : ومن تكون ياردى الفعال، يا حامض الطعم فى المبدأ
وغالبك أيضاً فى المال، وأنا المليح شكلاً وفعللاً لا أزال، فلحسن جنائى
أجنى وأؤكل بالغدو والآصال .

فقال له العنب : أيها الظالم فى قوله وفعله، والمنتسب إلى شئ ليس
هو من أهله، ألسنت الردئ الدلع الثقيل على القلب، المصلح إفساده
للمعدة بشئ من القلوب لوزاً فتؤكل به أو جوزاً، أو أنيسون فإن اتفقا
معاً خير لك لكى تنال فوزاً، وأنا المليح المنتظم فى عقده، والرشيقي الرجيج
فى قده، والمختلف الأنواع والطعوم، ومنى نوع عجيب يذهب الهموم،
فالنفوس جميعاً لا لهوانى تهوانى، والقلوب أرى إنى أراها تميل إلى قبل
أن ترانى . وأنشد :

وكل لما يهواه منى طالب .: وللناس فيما يعشقون مذاهب
فمن رام منى ليل وصل أطمعته .: وفى كل ما يهوى محب وراغب

وأنا المقيم صيفا وشتاءا على طول المدى، غضا طريا بهيا شهيا
منضدا.

فقال له التين : لم تعاضمت بمذموم وذكرت، وأطنبت فيما فخرت
وفجرت، أتبجح إنك للعجوز أم الخبائث أب، وهي التي من اقترف منها
- لله عز وجل - أقرب غضب، وكان حقا عليه أن يسقيه من طينة الخبال
عصارة أهل النار، ويحرمه في الآخرة شربها إن مات وهو على تلك الحالة
يعنى الإصرار، وأنت السقيم السطيح الملقى على القفا، ولولا الوساد
والإسناد لاندس رسمك وعفا، فأنت كالميت لازلت على السرير
محمولا، وبالقار مزملا والبرد مزبولا، ومع هذا فأنت ظالم فى فعلك،
غادر بمن قرب منك من أبناء جنسك، ملت عليه ووئبت وثبة جائر
ولففت عليه معظم حبالك، ردعته بها فعاد هالكا بعد ذلك، فهذه عين
الواقحة والقحب مع أن جميع أنواعك أناث أيمات، غير أن منهن عواقر
لا تلقحن ولا يلقحن فهن خبيثات عقيمت، وأنا الحامل القائم فى الجو
على ساق، يروحنى النسيم بالعشى والإشراق، فتتموبى أصولى وفروعى،
وتتنوع به أغصانى وتشد جذوعى، فأنا كالعروس أجلي دائما ثم اخلى
فى كل عام بعقد جديد مع فحل لاقح من فحولى كرام وأعطى جسدى
ووجهى بأوراقى، وأكشف عن لبي وقلبي كرما لقطافى وذواقى، وأبكي
وأخشع عندما يهجرنى الأحباب، ودمعى يحفنى إذا ذاب، أحلى من
السكر الجلاب، وقد أحسن فى القائل وأصاب، حيث قال عنى
وأجاب:

التين يعدل عنى كل فاكهة .: إذا بدا لا يجافى حسنه الزاهى
بخمش الجلد قد لانت معاطفه .: كأنه راع من خشية الله

ومن حبي واشتياقي وعزتي على الناس، يجعلون على شبهي إذا
فعدوى سكرًا ولكن بغير القياس، وأنت مشبه عندهم بالقطن أو بالشمع،
وأين هذا من ذاك؟ هذا ضرر وهذا نفع، فأنا منسوب إلى السكر تشبها
وشهرة عند النداء، والسكر لا شك أطيب من التمر وقد فقت عليه بلا
اعتدا، وأنت مشهور منسوب إلى الرطب، وهو لا شك أفخر منك
وأطيب نتبين بهذا فضلى عليك بدرجتين ووجب، وإننى أفوق على
الحلواء وعنصرها فالناس تطبخها والله يخلقنى، حلوا طريا بذاتى غير
منحرف طعمى ولا أحد بالنار يحرقنى.

فقال له العنب : أيها التين المناظر، إلى متى أنت فى الحق ومكابرة،
أما علمت أن الأمير على السرير جالس، وحوله الخدم قياما تطيف به فى
المجالس، وهل أنت إلا من جملة الخدم لى والممالك، مُدُون عندى فى
زمرة، الزوج والصعاليك، ومع هذا فليس فيك شىء حسن فتذكر، ولا
دونك قبيح قط فتهدر، ولا أنت ممن يتناسى فيذكر، لأنك عشنق
عنشليل، ذو عجر ونجر، فحرمك من حرمك، قاحل صلح كأنك (١)
عرفج، لكنه ضعندند ضعنفس، عنجل بهنج، وجلدك أيضا جلد حالك
خشن غير مدعرج، وأطرافك محدودة، وعالجهم بقتل المعرج، وأطمارك
أيضا خيمته ملبده ضخمة، كأنها فليج مصطخمة، ذو صخرة قد ملاها
غبار وصغار، نكشت وتساقطت فعريت، واعتراك التخمة، وظلك مكروه
عند ذوى العرفان، لأن له عاقبة وخمة، وأنت مبتلى بداء قبيح كالجدري
شكلا وفعلا وهو الحلازين، يذوب ويدلى ويعرى فغرقت مالها ولازين،
وحملك أيضا دائم قليل الثبات فى أصله، هذا إذا بذلت جهدك فيه عاماً

(١) كانه فى ١ .

بعد قلة حملة، ولولا البعوض باللقاح له بعد ذلك تنكح، لما كان يملك نفسه سقوطاً ومن كان كذا كيف يفلح، وقد أثرت عليك هذه الحالة الشنعى، بأن غاض البعوض عند تناهيك ديدان بقلبك ترعى، وتنشق أيضاً فيأكل منك الحشرات ويلقى دائها فيك، فتنتفخ وتسيل وتتلغ بغير نفع ولا يمكن تلافيك، ومكثر الأكل منك سيبلى فى جسده وينمى القمل، ويغشاه عقيب أكلك نمول ويبقى لساعته كشبه الثقلة بالحمل، وبحصول هذا الأذى منك كنت إذا أكلت فى الجنة من قبل، سببا لإخراجنا مع آدم منها وتشيتتنا بعد جمع الشمل، ومع هذا فأصلك الكثيف بسقف الكنيف موصوف، وإذا طبخ منه قد حان وقوده بقطع اللبن معروف، وإذا شمه الأدر المسكين يوما فليس تملك نفسه، سيما عند من وجع فى المثانة والخصية مسه، وماؤك أيضاً لقطافك سم نافع، وضرك فيهم أقوى من المنافع، وأنا الرقيق الخصر بسط القصب، وأوراقى بأغصاني كزمرد على قضب الذهب.

موال :

عراس الكرم رب العرش حلاها .: بأحسن ملابس وحمضها وحلاها
وفى الخطب لمن أخفاها تولاه .: حتى أجرت من مخابها مدلاها

وعرف أزهارى وطيب ظلالى يشفيان السقيم من الوصب، وثمارى حين تجنى تزهو على طيب الرطب، وقد جاء فى بعض الكتب المنزلة من الملك الجليل « كيف تكفرون بى وأنا خالق العنب »، قال ذلك لبنى إسرائيل وذكرنى الله تعالى فى القرآن فى مواضع تسعة، وكان نبينا ﷺ يحب العنب، فأنا دالية غير ذابلة مدولانية، فى جنة عالية، قطوفها دانية، تبدو للعيون عنقايدى من عيون عيونى، فلست أطوى على الناس نشرى

بغمض جفونى فليس أحد يجفونى ، وأنا فى الفواكه أيضا فاكهة دائمة تطوى وتنشر، وفى الأطعمة طعام فاخر يوصف ويذكر، وفى الأقوات قوت ومع الأدام أدام، وفى الأدوية دواء حسن تام، وفى الحلوى أيضا أنا حلو فائق، وفى الحوامض لى حمض حاذق، وفى المشارب لى شراب كافى، وفى النقلات لى نقل شافى، لما روى عن النبى الحبيب الصادق المصيب، أنه قال لأصحابه : «نعم الطعام الزبيب»، يشد العصب، ويذهب الوصب، ويطفى الغضب، ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفى اللون، فصلى الله على قائله بدوام الكون .

وروى جابر بن عبد الله عنه أيضا عليه أفضل الصلاة والسلام والتحيات أنه كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل سبع تمرات أو زبيبات، وروى عن على رضى الله عنه أنه قال : من أكل فى يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه، وجميع هذا المروى للحافظ أبو نعيم أورد ذكره، والأسود منه يؤكل على الريق بالفتق المقشور وحصى اللبان الذكر، فيذكى الإنسان ويقوى ذهنه ويصفيه من الكدر، وإذا ألم الإنسان ضرره من ضربان به يكون، ولاك عليه زبينة مع السداب عاد إلى السكون، وجاء فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ أَيُّهَا أَذْكَى طَعَامًا ﴾ أنه الزبيب .

وماهى أيضا مختلفة الطعوم والألوان والأجناس، فمنها ما فيه إثم كبير ومنافع للناس، ومنها ما هو موصوف بنحو من صفات العسل، ومنها ما هو قارص (١) ولكن منافعه شتى فسل، قال ﷺ « نعم الأدام الخل اللهم

(١) فارض فى أ، فارب فى ب .

بارك في الخل فإنه كان أدام الأنبياء قبلى» ولم تفتقر بيت فيه خل، فقد طاب به المحل حين حل، والفج منى أيضا ماؤه للصفر قاعم، وللقى والإسهال قاطع، وينهض الشهوة لتناول الطعام، ويعمل منه ذلك الطبخ الطيب للأنام، ويعمل منه شراب يسكن الغثيان عن العليل، ويقطع العطش الشديد عن كبد الإنسان العليل، وفي الخل أيضا ما هو أسفح اللون أو أحمر فإن قاعم^(١)، ومنها ما هو أغبر أو أخضر أو ذو زرقة أو أصفر فاقع، ومنها ما هو كالماء لونا وطعما وليس بخل ولا نبذ ولا راح، ويطول الشعر حقا إذا دهن به في المساء والصباح، وقد قيل فيه أنه يعجل الشيب فمن أين له دليل ظاهر على معيب حكمه تخفى، وإذا شرب لوجع القلب منه بسورة الحمد تتلى عليه سبعا يشفى، وإذا سقى منه^(٢) الصمغ ما يقطر من المشغوف بحب خمري فإنه يبغضها سريعا بشرط أن لا يدرى، وإذا فقد المصلون الطهور غسولا^(٣) ووضوء، جاز لهم إذ ذاك لقول الحنفى الطهور والوضوء، وذاك المسمى صريحا بدمع عيني وماء أصلى، يجدوه حقا حين أبكى لظلمي بقطع وصلى، ويسمى بالصمغة الجامد منه على الأغصان، وشربها مع الشراب تخرج الحصاة من مثانة الإنسان، ويعصر ويجعل التطاखा بها وكذا القوابى المتقرحة، بعد غسلها بنطرون وكذا التآليل المتوقحة^(٤)، وإذا لطخت بها وبالزيت حلقت منابت الشعور، وبالتكرار ربما منعته النبات في آخر الأمور.

وعصارة ورقى إذا شربت نفعت من قروح الأمعاء ونفت الدماء، وضعف المعدة وللحوامل من النساء إذا وجدت من الرحم الماء، وكذا فعل

(١) ناضع فى أ، ج.

(٢) مع فى ج.

(٣) غسلا فى أ

(٤) المتقرحة فى ب، دا والتآليل: حرص جلدى عبارة عن حبوب مستديرة متقيمة.

خيوطى الرقاق إذا نعت فى الماء، ثم شرب الماء عنها نفعها كالأول على
السواء ومضغ لفائفى كلها تقوى اللثة بعد استرخائها مع التكرار وزهرى
بذبل ويجعل يومين فى زيت الاصاف، ثم يعصر ويلقى ويرفع الزيت فإنه
يقاوم دهن الورد بلا اختلاف، فأنا ذو اوصاف عجيبة بديعة، وصفوف
كثيرة عالية منيعة، ويؤكل منى مص (١) وقطف وقصيف ويانع وحلو
وحامض ورطب ويابس وجامد ومائع، وقد جمعت بين البياض والحمرة
والسواد، والف ذلك فى وجعله عقداً نضيداً رب العباد، وقد أحسن فى
القائل وأجاد حيث أفاد.

كل الفواكه سلطان لها العنب	إذا كان أكلها فضلاً لما يجب
دان (٢) لطيف جواد لين رطب	حلو وصاف رشيق كله (٣) عجب
آهـ لزورته وآهـ لرؤيته	أوه لجفونه آهـ لسهـا وصب
إيها فقد كملت فضلاً محاسنه	أفديه فاكهة ابقى هو الأرب
إذ كل صنف له معنى يفوق به	الإمعانيه فقد ضاقت لها الكتب

فقال له التين وقد انصدع راسه واسرف شفتاه، وتزلع جلده وترقس
لونه واحمرت وجنتاه، وزرّ مما عراه عنقه وزرت عيناه وخفق لذلك قلبه،
وطاش منه لبه، وغلظ جيده وانتفخت أوداجه، وظهر من جميع فجاجه،
وقال:

أيها العنب أنا كنت أولاً أتناعس عنك وانكسر، وقد عدت لك الآن
أتيابس فلا أتناعس ولا أنزحر، أتزعم أنك ذو ألوان فاخرة، مع عصر
شومك الذى خيرك إليه (٤) كان كالنقطة فى الدائرة، وليس لك معنى نوع

(١) قصر فى هـ . (٢) وانه فى أ، هـ .

(٣) وريق فى د . (٤) نسبته إليه فى جـ .

تليق به المفاخرة والمكاشرة، وهل أنت إلا حقير ذميم رخيص الثمن، يدوسك الكفار والفجار وكذلك الفساق وأهل الاخن، ويغدونك بالتراب ويقتلونك عصرا فتموت صبورا إذن، وأنا العزيز العال مترجم عند من رحم أو فطن.

أجلب رطبا ويابسا من غالب الأقطار، وأحمل في الفياض والقفار، وأهدى للعالمين طرا في سائر الأمصار، وما تكون في شأن إلا وكنت قبلك فيه، خلا العصر فإنني عمدا أريد تجنبه وتجافيه، وما ذاك إلا لأنه منقسم ثلاثة أقسام متشعبة: مكروه وخلال وحرام، فالحرام معلوم وعنده بدار البوار (١) والحلال المقيم منه جلالات في هذه الدار لا بد له فيها يدوم حلالاتا من النار، فالحذر الحذر منهم جميعا والفرار الفرار، وما عدا ذلك فانت فيه دوني وأنا المقدم، حتى أفخر شيء فيك وأعز وأكرم، وأطيب طعاما وأغلى ثمنا وهو الدبس إن لم يضرب بالعيدان مني والإف هو دون ما ضرب لي من المنظر والقيمة والمطعم، وفي فضل أفوق به على الكل ليس بعدم (٢)، أعدى الفرات بغير من ولا مضرة، وخلقي وخلقي وزهري مع اسمي بغير تلون (٣) فلي الهنا ولي المسرة، فلست أخشى معرفة، وكذا الطعام مني يوجد واحد في كل خرة، فلم تكن مذاقته في ابتدائي حامضة ولا حلاوته في انتهائي مرة، فأخدع ناظري كمثلك يوما فينظره نظرة مستقرة، والغش له من داخل قلبي (٤) كمن هو قد فطن، كذا الزيف المبهرج كائننا وبحذره اللبيب ومن فطن، وهذه الخلة (٥) ليست من صفات المؤمنين، وإنما التلون والتنميق بغش والخداع والغدر من شيم

(١) القرار في د. (٢) بدم في هـ. (٣) لون في أ، كلون في هـ.
(٤) بقلبي في حـ. (٥) وهذه الخلة = وصفاتك في ب.

المنافقين، لكنى ذو أكلة ناصحة ذكية، وخلقة صالحة سوية، وطلعة باهرة سنية، ورؤية فائقة بهية، وشكل حسن عجيب، أخرج فى أكمامى، مرصعا بين أعلامى، ناشرا راياتى أمامى، بزى واحد نظير سامى، أتلقى أحبابى بصدر رحيب، لست اختلف عليهم أبدا فى صورة ولا معنى، فلهذا عرفت فيهم أصلا وفرعا، صغيرا وكبيرا، قديما وحديثا، رطبا ويابسا باسم مفرد به أتمنى، وهو ألطف من اسمك الحقيقى للين حركته وخفتها وسكونه قبل التسكين له واسمك ثقيل لحركاته المتتابعة، وثانية عن السكون والتسكين أيضا للزوم القفلة واسمى مقدم عليه أيضا ومفضل بما حل فيه من أحرف الهجا، فالتاء للقسم وهى ثالثة ومنه أوله فهى وتر والوتر ارجا، والياء للندا وهى لفضلها خاتمة ومنه واسطه والنون ففى (١) كلينا ثم لها ملجا، وفى حساب الجمل هو أوفى منك عددا وأقوى، فيائى بعينك ظافرة يقينا والباء منك بيائى ولا تقوى، وأيضا فأنت ذو أسماء وأطوار متباعدة مختلفة حصرها والكلام فيها ليس يمكن لكونه جاء نص صحيح عن مسماك بالكرم وإنما الكرم قلب المؤمن، وفى الميزان أنا أوزن منك وفى المنظر أنا أشكل منك وأزين، وفى المخبر أنا أنعم منك وأحلى وألين، فقشرى غير صلب ولا مكين، ولا لى عجم قوى فيعوقان الأكلين، فانا فى الارج مسلما مازلت وأنت فى الحطيفن، مبتلى دائما ببلاء عظيم مقبم مضيعن، يجذع بأطرافك كلها واحدا بعد واحد من غير قصاص لها ولا تعويض، تحيا كئيبا ذا جسد ناحل لكنه على التعذيب والقطع والصلب والعصر والنار والسحق صبور، ثم تموت كفيننا (٢) وتبدو كمد القلب باحل حزين منكسر محصور مأسور،

(١) فهى فى أ، جـ. (٢) دفينا فى هـ.

ذق اليم القطع يوما .: وعلى التعذيب فاصبر
ولنار الكى قاسى .: أيها الحادى بمكر

ومع هذا فأجناس كأجناسك، وإن عددناها بعدد أنفاسك، ولكن
ليس لنا فى تعدادها مصلحة زائدة، تكون فائدتها علينا عائدة، وأيضا
وألوانى أحسن منظرا من ألوانك، وأنا فى نثرى أبلى منك فى نظامك،
فكأنى مرصعا بأغصانى بين أوراقى فى سوادى وبياضى والاحمرار، نجوم
طلعت بأفقهها عند الغرب فتلاها شفق^(١) وأنها بمستوقدات لها مع الليل
ضوء النهار، أو كأنى حين اجنى وأجعل مصبوبا بأطباقى على ورقى در
وبهرمان وبنادق مسك نثروا، باقطاع الزمرد فى بدور اللجين أو التضير
فانسابوا عليها ذرافات ووحدا فانتشروا.

ما أبهج منظرى وأحلى .: ما أرفع رتبتى وأعلى
ما ألين مأكلى وأهنى .: ما أطيب مطعمى وأحلى

وبعد هذا جميعا فأنا أشبع الجائع وأكفه، وأكفى الفقير القانع وأعفه،
واظفر المغير منى والنحيف والمعبأ بالسمن، ويقصدنى أحبابى سحرا
بوصل وأنت ملقى فى الجفن، فيأكلك الكلاب والذئاب والذباب
والخنزير، وكذلك الضياع والسباع والأفاعى والزلاقط وكل ساقط
والزنابير، وماذاك إلا لحسن فعلى فى البدن، وعظم نفعى بأكلى على الريق
إذن، وأما ما ذكرت من انى أولد القمل فى جسد المكث منى، فذاك والله
صحيح عنى، وهو فعل بخيخ لانى انهض الحرارة الغريزية التى هى مادة

(١) غسق فى أ.

الحياة وأقوها، وأزيد شحم الكليه وأربها، وأخصب الأبدان الهزيلة وأنمها، والقمل لا يوجد إلا على الجسد الصحيح، لا العليل الغير فصيح، وإذا مات الإنسان يفقد القمل من جسده وثوبه الذى يواريه، وذلك لمفارقة الحرارة له فتراه يهرب منه سربا من جميع نواحيه، وقولك بأنى سريع بابعالى بالحمل من أكل منى صحيح، وما ذاك الا لأنى، جيد الغذاء مفتوح الأمعاء كما يأتى بيانه مترجما عنى، وقولك أنى كنت السبب أولا فى الخروج من الجنة قول مردود فلا يصدق، لأن ذلك مشتهر بغيرى وقد أبهم الله تلك الشجرة فليس يمكن أن يحقق، ولو قدر صحته لما صح لومى لإنى مأكول لا أكل لكنك اخرق، وأيضا فأتت مشتهر بذلك دونى فأتت باللوم أحق منى لكنك أحقق، ولكن لما طفق آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة لم يسترهما منه شئ سوى ورقى، ولهذا أعظم الله على المنة، وجعلنى محرما على الفجار لأنى رقيق القلب وهى عظيمة المحنة، فلست أخير كغيرى بقدوم ولا منشار، ولا انصب عرضا لدونهما خشية الفتنة وكذلك حجبت النار عنى فليس تحرقنى احراقا شافيا لها كغيرى، ولا ينجح الطعام الذى يطبخ بى وإن كان لبنا انقطع عقوبة لمن أراد ضرى، حتى انه من أكثر إحراق خشبى بالنار، فإنه يبتلى بطلوع الشعرة فى عينيه من داخل الأشفار، ومن قطع منى أصلا أخضرا لأساس^(١)، فلا بد ان يبتلى ببلىة شديدة الباس، وقل أن ييبس منى فرع إلا ويخلفه ما هو أحسن منه ويستوى على سوقه ولا أصل كامل وذلك نادرا إلا وعاد وكأنه أمر قريبا منه ولو بعد حين نحوه من عروقه، وأول ما خلق الله الخلق القطر للناس، خلقه فى الجنة من قطرات لبنى إذ قطعت

(١) لا ييبس فى هـ.

أوراقى وخصفت للناس، ولهذا يشبه خلقه خلقى، فورقه مثل أوراقى ،
وحمله كهيفة حملى، وهو يشبه داخل القلب من اغداقى .

وقد نص أهل المعرفة والخبرة بالفلاحة النجبا، أن التين خير الفاكهة
مطلقا ومن كل نوع ارخاها خشبا، وزعمت أيضا بإنى للباطن مؤلم
وذلك زعم باطل من قال به هذى، فإن الأطباء اتفقوا على انى أقوى
الفواكه غذا، وأفتح الأمعاء أيضا للغذا، وإن من أكل منى خمس حبات
بنصف أوقية حلبة على السوى، وانيسون ورازلنج (١) لوجع الفؤاد
والقولنج مقه (٢) منهما واستوى، وإنى للسرع أو السعال المزمن رطب
ويابس عظيم الدواء، وإنى موافق وجلاء لرمل المثانة، وأفتح سد الكبد
والطحال وأغسلهما غسلا وإنى أنفع الأعصاب وألين الطبيعة وأدر البول
وأنقى المعدة من الأخطا البغمية وأنفع خشونة الصدر نفعا بينا وكذلك
أيضا قسبة الرئة، وأسكن العطش الكائن للإنسان عن مالح البلغم، وإذا
أكلت مع السواب والجوز احفظ من الضرر وأومن من السم، وأنا عظيم
النفع جدا إذا أكلت بالجوز، خصوصا على الريق أو بعد طعام لطيف
وكذا فعلى باللوز، ومداومة الأكل منى يصلح لون الجسد الكامد، وإذا
تغرغر ذو الخناق بماء مطبوخى أنضجها وحلل منها العاقد، وفى من المنافع
أضعاف ما ذكر مما فهموه عنى وعكموه منى .

واكتفى (٣) إلى القول الفصل الذى لاشك فيه ولا ارتياب، وهو
كتاب الله العظيم المقدم حقا على كل كتاب، لأنه وقع بى على القسم

(١) درارياىج فى أ ، جـ .

(٢) فقه فى جـ، فقد فى د، نقد فى هـ، وربما كانت نقه .

(٣) والكفى فى أ .

الصحيح من الله تعالى فيه، وذلك لكثرة منافع وفوائدى وتنزيهى عما ليس يرضيه، والسورة التى ذكرنى فيها تعرف بى، وماذاك إلا لتفضيلى عليك وعلى من عداك فمن يسامينى بفضل ربى، قال فى تفسير سورتى الحبر والبحر ابن عباس، سيد العلماء الراسخين الأكياس، هذه الثمرة أقسم الله بها لأنها تشبه ثمار الجنة، ولكونها على قدر اللقمة وخلوها من العجم والنوى، فهذا فخار لى حق ثابت بغير مخرقة ولا دعوى، ونقل البخارى أيضا عن مجاهد بغير شك ولا التباس، أنه قال فى تفسيرها هو التين والزيتون الذى يأكله الناس، والقسم إنما يقع بالفاضل دون المفضول وبالمعظم أيضا وبالمحبوب، وبالمنزى عن الشر والبدال على عظم خالقه والمرغوب فيه والمرهوب، فهذه دلالة عظيمة تشهد بفضلى عليك وهى قطعية، وحجتها بادية ظاهرة سمعية عقلية.

وروى فى الحديث « من أراد أن يرق قلبه فليدمل أكل الكسر ». قال اللغويون وأهل العلم هو التين وقيل العدى. وروى أبو الدرداء عن سيد المرسلين محمد خاتم النبى عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين، أنه أهدى إليه طبق من تين فقال : كلوا وأمر الحاضرين من أصحابه ولواذه، وأكل منه وقال : لو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا منها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ، فالحمد لله الذى جعلنى نافعا للعباد ملائما لهم غير عسر عليهم ولا أشرس، وبعد هذا فانت تعلم أنه ماكرم أحد عند الله إلا بالتقى، وماساد من ساد فى الدنيا والآخرة إلا بها وبها ارتقى، والآخرة خير لمن اتقى، فهذا الذى فضلى عليك بالقسم وأعطانى قلبا سليما وحالا صادقا،

وقد أحسن فى بعض واصفى حيث قال مبينا ومحققا

ياصاح للتين أوصاف معظمة
 وخص أيضا بتشبيهه بفاكهة
 بل لطف ذات ولين^(١) في عريكته
 والطعم حلو ولا قشر يمانع
 وهو الذى صانه المولى فعزتقى
 كل الثمار فداه قد يدوم لنا
 تسمو الفواكه فضلا ناله القسم
 فى حنة الخلد لا صخم ولا عجم
 كأنما عينه صيغت لنا لقيم
 من نهش ولا حب برى منه سقم
 وهو الفضيل الذى دانت له الحكم
 فهو الجميل حلا^(٢) قد زانه كرم

فعند ذلك شد عليه العنب وماتلعثم ، وظهر من نور أكمامه فما استتر
 ولاتكتم ، ثم تحصرم وقد اجتمع وتلملم ، ثم تطاول بعد ذلك وتمايل
 وتدلّى ، ثم عيل^(٣) وقد تكلل^(٤) واحلولى ، ثم تسلسل إذ ذاك ودنا
 وتذلك فما تحبب ولا تزب ولا تذلك ، ثم تماسك بعد ذلك وزلم ، ثم
 تصلب حينئذ وصمم ، وقد اصفر لونه بعد أن كان مبيضا ، وصار
 كالشهاب حين تراه منقضا ، ثم تلتطف بعد ذلك وصفا ورق ، وجلد فما
 عفن ولا تح ولا شاط ولا احترق ، ثم قال .

أيها التين إلى كم هذا الجدال والخصام ، وكم تكلمنا بأسوء كلام ،
 وتشاجرنا وتساخرنا ، وصار ذلك فى الأنفس كالكلام ، وتفاخرنا
 وتفاجرنا ، وماظهر لنا بذلك أمر ولا تم نظام ، ومادمت تقول وأقول ، دون
 قاض فيصل فذا شىء يطول ، ولكن الذى يقتضيه رأى هو الصواب ،
 أن يحكم فينا عدل يكون لديه فصل الخطاب .

فأجابه التين سريعا إلى ذلك ، وظن كل منهما أنه ناج وخصمه هالك ،

(٢) محله فى هـ .

(٤) تكفل فى أ ، هـ .

(١) ولطف فى أ ، ب ، جـ .

(٣) عبر فى أ ، هـ .

ثم تحاملا إلى رجل له خبرة ودراية، وعلم بالأصول والفروع وفن الرواية، وبمعرفة الموصول والمقطوع وسير النحو وفهمه، وعرف المنقول والمعقول وخبر الجنس والنوع وقسمه، وأتقن علم الحقيقة والمجاز وأحكمه وغرس جميعا في شج فؤاده غرسا، وانشب فيه ظفرا له وضرسا، وخاف تفلته فأودعه قلبا لا طرسا، وعمل فيه بقوله تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا﴾ فعرضا عليه القضية كلها، دقها وجلها، وسألاه الحكم سريعا بقوة علمه وجوده فهمه فيهما، فقال: اصبروا هنيهة فإنكما على الخير سقطتما فافهما، ولكن أيها الخصمان لا أحكم بعلمي في الغالب، ولا أتقدم في أمر وقع وأنا غير هائب^(١)، ولكن ليحضر كل منكما بيينة صالحة ليعلم الصادق والكاذب، ولتكن البينة عندي مقبولة غير مردودة، فإن شهود الزور معلومة لدى ومعدودة، فذهب كل منهما وجعل يشدد، ثم جاء بشهود له كرام لا ترد، هذا أي التين فيما جمع لساعته قبل شروق الشمس، وهذا أي العنب مما وجده مهيا له قبل ذلك في المقام بالأمس.

فتمايل القاضى عند ذلك طربا، وتبسم فرحا وعجبا، ثم قال لهما جهارا بغير خفا، لقد جئتماني بأهل صدق ووفا، وتركتما أهل المحال والجفا، ولكن ليس للحاكم أن يحكم وهو جائع، فإن حكمه صار له وللخصوم غير نافع، ثم أكب على المآتى به بهمة وانهماك، يجمع بين اللونين، ويقرن بين الزوجين، ويتلعب بلعا بغير التباك، فتصبرا عليه ساعة لعله يرفع أو يقنع، وإذا به قد أتى على الجميع أكلا وما شبع.

(١) عايب في ب، د.

ثم رفع راسه بعدما كان اكبّ، وقال : الحمد لله الذى خلق الفاكهة والأب وخلق الحب، وخالف بين الأشكال والطعوم والألوان، وسخر ما فى السماء والأرض جميعا للإنسان، وصلى الله على سيدنا محمد واله صلاة تملأ الأكوان، مامر الجديدان، وبعد : فاعلما أيها الخصمان ، أنه والله ليس الخبر كالعيان، ولا المشاهدة كالممارسة واللمس، ولاهما أيضا كالملازمة واختلاط النفس بالنفس، وقد كنت أعلم حالكما ولاعلم اليقين، ثم رأيت عين اليقين، ثم وقفت منه على الحق اليقين، ثم تأكد الآن عندى لدخولى فيه بغير شريك ولامعين، فظهر لى بذلك واتضح الصواب، وانزاح عنى الباطل واختفى الشك والارتباب، وأمكنى بذلك أن أصل منه حق الجواب، وأقطع عنه النزاع والعتاب ، لأن النفوس منقادة إلى ذلك راضية. بحكمى ساخطة لما تهواه، والقلوب منشرحة مرتاحة لما عساه منه تلقاه، وليس ذلك عندى إلا الذى اختاره الله لعباده المتبارين والأزواج، وجعله خيرا لهم من التشاقق إذا حصل التنافر بينهم أو وقع الإحراج، وهو الصلح فاسمعا وأطيعا ودعا التلاجى واللجاج، واعلما أن البينتين متى تعارضتا فى حكم سقط بكتليتهما الاحتجاج، وثم الحال باق على ما كان عليه فى الأول، وكذا (١) انتما فالحكم لكما واحد وعلما الصلح المعول، وكلاكما حسن طيب مازال مشكورا، وفى الكتاب والسنة قد غدا مذكورا، وأنتما والرطب ملوك الفاكهة فقط، فحاشا كما أن تجهل أو يفرط منكما عليكما هذا الفرط، وأنتما كالتوأمين قط لم تفترقا، فاقبلا نصحى وكونا أصدقا، وكيف لا وأنتما متحلين على الصوفية، فقد ظهرت لطافتكما بعد تلك الكتافة المردية، فأنت مصفر

(١) وأما فى ١، جـ.

رقيق صلب صاف جسور نحيف، وهو متقشف خاشع رакع باك لين خفيف، فاستعملا الظاهر باطنا وتصافيا وتراويا وتخالطا وتخابا وتطاوعا ولا تختلفا وتوادا وكونا على قلب واحد فإن شطح أحدكما يوما في حق الآخر وقال فيه (١) ما قال، فعلى الآخر الصبر والحكم والمكظم والصفح والاحتمال، فإن كل أحد وقت الرضا يتكابس (٢) وإنما في الشدائد تتباين (٣) الفحول والأبطال، ودوام الود بينكما أبدا أن لا يعيب أحد منكما الآخر ولا يذكره بشين ظهر عيب، ولا يرميه بغيب، فإن صفا ورد، اعتذر واستغفر، فيغفره الآخر، ولا يذكر ما مضى ولا ما قصر، ولا يعاتب أحدكما الآخر على الذي كان في الماضي، فإن ذلك يوجب الشحنة وينسخ التراضي، ولا تقومون من عندي إلا وكل منكما ظاهرا وباطنا عن الآخر راضى.

فسمعا له وأطاعا، ومد كل منهما للعهد والمودة يدا وباعا، واتفقا واستكانا، وصارا عباد الله إخوانا، واجتمعا بعد ذلك التنافر والإفتراق. في الأواني والأطباق.

(١) مهما في أ.

(٢) متكابس في د.

(٣) تتباين في أ.

الفهرس

مقدمة :	٥
مفاخرة بين المشمش والتوت	
للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي	٩
مفاخرة بين الرطب والأعناب	١٩
مفاخرة التين والعنب	
للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن المحب	٢٧

هذا الكتاب

هذه المفاخرات الثلاثة خاصة بأنواع الفاكهة، المفاخرة الأولى بين المشمش والتوت، والثانية بين الرطب والأعناب ذكرها السيوطى فى مخطوط كوكب الروضة، والثالثة بين التين والعنب لشمس الدين محمد بن المحب.

وهى تتسم بالطرافة، كما أنها تحوى معلومات قيمة عن تلك الفواكة ومميزاتها مع الاستشهاد بذلك فيما ورد بحققها وتشبيهها بفواكة الجنة، وذكرها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

الناشر